الشخصيات التاريخية الفاعلة في رواية سمرقند لأمين معلوف

د. أوريدة عبيد

الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة صنف

الشهادة: التأهيل الجامعي

جامعة مولود معمري/ تيزي وزو/ الجزائر

abboudourida@yahoo.f

تاريخ الاستلام: 2019/10/8

تاريخ القبول: 2019/11/24

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

تروم هذه الدراسة إبراز كيفية استمرار رواية "سمرقند" للخبير بوصفه أداة جمالية تقدم معرفة مثيرة، بروح التساؤل، عن وجود الإنسان وعن تاريخه، عن هوية الأنا وحوارها مع الآخر، وصراع الإيديولوجيات، خاصة أن هذه الرواية تحدث متفاوتات نسخية تاريخية، تقدم الوقائع المترامية عبر الأرمعة القديمة في شكل مكون نصي تخبيلي قابل للقراءة والتأويل. حيث يسافر أمين معلوف من الحاضر إلى الماضي من أجل أن يفهم الحاضر وأن يحمل بعض قضايا العصر ليعلق عليها ويجب عن ما يبقى عامداً مدة من الزمن. ذلك أن حضور التاريخ في صدام النص الروائي، وعده مرجعية جمالية تمنح النصوص الإبداعية تسبيراً بنبوياً جديداً، يتبني من تقدير المادة التاريخية في حد ذاتها والقدرة على الإحساس بها، وتنميم هذا الإحساس الذي يعد مزياً من المزايا الإنسانية. كما يروم البحث كذلك بيان كيف تظهر الصراعات الدينيتين في بلا فارس خلال القرن الحادي عشر انتقالاً من مختلف الشخصيات البارزة التي أدت دوراً أساسيًا ومهمًا في توضيح المجال الديني والأوضاع التي كانت سائدة في هذه الحقبة.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الشخصية، الرواية، الصراع، الماضي.
Historical Figures in Amin Maalouf's *Samarkand*

Dr. Ourida Abboud
Lecturer Class A

Certificate: University Qualification
University of Mouloud Mammeri / Tizi Ouzou / Algeria

Email: abboudourida@yahoo.fr

Abstract:

This study aims to highlight how the novel of *Samarkand* made use of history as being an aesthetic tool that provides knowledge burdened with a sense of wonder about the existence and the history of man, identity of the ego, its dialogue with the other, and the conflict of ideologies; particularly, this novel presents a historical textual interaction, presenting the vast facts through ancient times in the form of an imaginative reading and interpretation text component. Amin Maalouf, in this novel, travels from the present to the past in order to understand the present and to carry some of the issues of the day to comment on, and to answer what has remained vague for a period of time. The presence of history in the of the text, and considering it as an aesthetic reference, gives the creative texts a new structural construction, stemming from the appreciation of the historical material in its own right and the capacity to sense it. The evaluation of this sense is considered as a feature of humanity. The present research also aims to demonstrate how religious conflicts have emerged in Persia during the 11th century from various eminent personalities who played an important role in clarifying the religious field and the conditions that prevailed in this period.

Keywords: conflict, history, novel, past, personality.
مقدمة:

إذا كان النص قد أثار استبعاد خارجيته فإن مقدره تلك لا تتجاوز إلا بالأساليب النقدية، التي من شأنها جعل النص فضاء لتناول مرجعيات أخرى، لا تعدو أن تكون بعد ذلك مكوناً بنويًا للبيئة الشاملة، وهذا ما يجعل التفكير في تحليق إمكانات حوادث النصوص التاريخية أو الأحداث في حد ذاتها عملاً يفتح أفكارًا جديدة للقراءة والاستنتاج.

إشكالية الدراسة:

يعرض هذا البحث إشكالًا أساسياً حول الكتابة الروائية للتاريخ، ويبحث في آلية التعامل مع الشخصية التاريخية في العمل الروائي من حيث نموها، حيث أن الشخصية التاريخية الشخصية مثبتة يصعب تحملها بأكثر مما أسند إليها التاريخ، إلا أنه بدون كل تفعّل بالروائيين إلى تسويف التاريخ وتسخيره في أعمالهم الروائية ضمن إعادة صياغته فنًا، أو لمقارنة ما كان في الماضي وما يكون الآن، ضمن هذا الإشكال الأساسي تطرح دراستنا أسئلتها مفادها:

- لماذا يلجأ الروائي لتزويد التاريخ في منجزه السردي؟
- هل تضيف المرجعية التاريخية شعارات دلالية للنص الإبداعي؟
- ما المعطيات التاريخية التي تجسدها الشخصيات في رواية سمرقند؟
- كيف تجلبت الشخصيات التاريخية في هذا الرواية؟

منهجية الدراسة:

ستحاول قراءة وتأويل رواية سمرقند وفق المظهر النقدي السوسيولوجي، بعد الوقوف على أهم الشخصيات الفاعلة في في بلاد فارس خلال القرن الحادي عشر والكشف عن بعض مظاهر الصراعات التي كانت تعيش في الرواية للواقع المجتمعي الفارسي آنذاك، هذا ستستنفد دراستنا إجراءات المنهج التاريخية والاجتماعية لأن الأحداث كانت متعائلة زمنياً مع ضرورة التحليل والاستقراء التي تتضمنها أحداث الرواية، وتتخذ المقارنة الثقافية التأويلية للخصوم في تفاصيلها وتوجيهاتها.

1- حول رواية سمرقند:

تعد رواية سمرقند من الروايات النقرة بالتخصص والحداث التاريخية. تنتمي إلى أربعة كتب أساسية ومن ثمائية وأربعين فصولاً، تدور أحداثها في مدن ومجلات متبوعة تقدم هذه الرواية المسروقة من طرف "نجمين لوساج" على قصصين أساسيتين في أزمنة مختلفة. يحيي أمين ملوف في كتاب "شعراء وفانوس" - وهو أول كتاب "سمرقند" - قصة "عمر الخيام" في نيسابوري.
الذي يزور"سمرقند" ويلتقي قاضي البلاد "أبا طاهر" الذي سيعطيه كتابًا ذا صفحات بيض؛
لطلب منه أن يدلون فيه كل ما يخطر في باله والتي ستكون فيما بعد ما سماه "الرباعيات"، ثم
يأخذه لقاء الملك الذي سيعجب بذكائه ودراسته. هنا يسقط "عمر"، يتباكى الحب مع شاعرة في
بلاط القصر، ثم يعود الستار لزمن بعيد ليتحدث عن زمن الحروب.
نشأت علاقة بين الوزير "نظام الملك" وبين "عمر"، قبل أن يدخل طرف ثالث شديد الحيلة
والذئاب هو "حسن الصباح" ليلعب دور المستشار للوزير الذي سينفيه بعد أن كان يخدع الوزير.
ليعود بعد سبع سنوات للانتقام.

وبعدها يسرد معلوم "فردوس الحشاشين" وهو الكتاب الثاني من الرواية - حياة "عمر
الخياَم" الذي كان قد تزوج من "جيهان" ليعشي حياة بعيدة عن كل التوترات والضغوطات قبل أن
يظهر "حسن الصباح" وقواته المشهورة ببطاقة "الحشاشين" ويعود به للانتقام بعد أن غرَّب نظامه
إلى الإسماعيلية المبتدئين من طرف السلطة آنذاك. يمضي بقوته هذه نحو التدمير والتخريب
والقتل حتى عدت أول آلة اغتيالية عبر التاريخ؛ فاغتال الوزير "نظام الملك" السلطان "ملك
الشاة" و"زوجة عمر الخيام" التي تركته من أجل الغرض الملكي، يذهب بذلك "الخياَم" من هذه
الظروف ليستقر في مستشفى يسمى هنالك. بعده يموت "الصباح" ليخلفه أحفاده وينتهي الأمر
بسقوط قاعدة "الحشاشين".

أما في كتاب "شاعر تائه" - "نتيجة الأعوام الألف" هو الكتاب الثالث والرابع من الرواية، يقتض
لنا فيها حكاية الستار ودفنه والده بعمر الخيام، لي 대부 في مدينة تعرف على "{"كسروان"،
بمساعدة صديق جده "صلاح الدين"، فيسعى للعثور على "مخطوطة سمرقندة" لكنه يتهم بالقتل
ويصبح مجرمًا، يلتقي بـ "شيرين" حبيبة الشاه لنلتزم من الأسئلة الموجهة إليها، ويعيش معها
 قصة حب فيعود إلى بلاده دون تحقيق سعاده، ثم يعود بعداً ليجد نفسه مشاركًا في حملة النيابة
بالştirك والمشاركة بالمفاوضات والمعارك، لكنه لا ينبغي هدفه الأساسي وهو "مخطوطة".
يتشارك هو و "شيرين" حب المخطوطة، ولكن يقرر تركها ليكمل الرحلة التي بدأها لبلاد "فارس"
وبعد أن زار "سمرقند" يتوضح أمامه الأمر ليعود أدراجه للعيش مع زوجته "شيرين" رغم
الصراعات القائمة بين أهل الحداثة وأهل السبأة.

يرفض السفر إلى "نيروذ" مع زوجته حاملين معهم مخطوطة سمرقندة على متن باخرة
التي تسير بعدها سنة 1912، لتعرق معها أحلام كثيرة ليستقر المخطوطة في أعمق
المحيط داخل صندوق محكم الإغلاق... يقول معلوم "رباعيات الخيام على الـ "شيانيك" زهرة
الشرق تحملها زهرة الغرب! لينك يا خيام ترى اللحظة التي كتب لنا أن نحياها... هكذا كانت آخر كلمات الرواية لتبنى لحظة بارد مخطوطة طالما كان محركًا للأحداث.

ترتكز هذه الرواية إذن على مدينة "سرمقد الفارسية"، المدينة التي شهدت صراعات وحروب شئي، وهو المكان الأساس لهذه الرواية والمتبوع الأول لها. ولكن هذا لم يمنعها من تداخل أمراً أخرى تتقاطع معها "كأسفهان "نيسابور" "الموت" و ghéرها. شملت على بلال "فارس" المكان الأسس لقصص الرواية بين زمنين مختلفين: الأول هو الذي تدور فيه أحداث النصف الأول منها وهو زمن "الخليج" من بداية القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر، و الزمن الثاني هو زمن "بنجامين" في القرن التاسع عشر، أما التي بلاد فارس عاشت منذ القدم وحتى الآن ألوارا تاريخية متراجعة ومختلفة بين القوة والضعف. فبعد أن كانت ولاية استطاعت فيها الساجفة العظام أن توسوع منها عصرًا جدًا غرر بالسلطة السلجوقية في الشرق من 103 إلى 115. فقد تمكن من توحيد البلاد بالقوة والسياسة، لكن سرعان ما فقد خفاه السيطرة على الصراعات التي قامت بين مختلف الطوائف أثناء بين المسلمين، و غيرها من الطوائف المختلفة من إسماعيليين صوفيين سوريين وغيرهم. مما أدى إلى استغلال الوضع من طرف الأجانب وإعلان الحرب عليها، كالحروب الصليبية، وبذلك انقسمت وحدة المشرق إلى دويلات صغيرة سميّت بملوكها الذين حكموها وكان كل واحد منهم يحاول السيطرة على الآخر، فأخذ القوي يبطش بالضعف، الأمر الذي أدى إلى ظهور الصراعات ذات طابع ديني.

بعد الكابب في مواضع كثيرة إلى استعمال تتوع في ديمومة الرواية، حيث بلجا في أحيان كثيرة إلى الحوار لإبطاء السرد والوصف واستثمار الزباعات، ويجذف عدًا أحداث لتسريع السرد كالفرش الذي يوجد بين الزمن الأول والزمن الثاني الذي لا نخاله موجودًا أصلاً. فكان ذهما متلاصقان إلا أن الزمن بينهما ثمانية عام تقريبًا.

الرواية قادرة على خلق عوالم عديدة، لكنها تركت هذه الحرية الشامخة وتقديم بعطيات التاريخ. فلماذا تعد مثالاً إلى نصوص "الخيام" وتجسم عنا البحث عن ارتباطات ونقاطة معقدة تعتقد هذه التباهية للتاريخ وإن حاولت التوصل منها وتجعلها تقرأ دوماً بمراجعة ما؟ هل تسعى هذه الرواية إلى إيجاد عالمها الخاص، فعادت تبحث في تاريخ سرد وشخصياته عن شيء معين، أم أن لهذه العملية التي قام بها النص غاية ما خارج لعبة العلاقات التي ترسمها مع الماضي؟
الشخصيات الفاعلة في القرن الحادي عشر في بلاد فارس:

تعتبر الشخصية التاريخية من أهم الروايات التي يحاول الروائي المعاصر إدراجها في منجزه السردي حتى يتمكن من إحياء هذا التاريخ في ذاكرة الشعوب. فالشخصية التاريخية الفاعلة في الحدث من المعضلات التي ترقى الروائي وتتأثر ضمن قانونه التاريخي الخاص. وتوظف هذه الشخصيات في السرد الروائي وتحتاج إلى درایة بالأحداث التي أشتركت في هذه الشخصية وتلك التي لم يشترك فيها.

(EL CHAMALI, 2006, P 226) (الشامي، 2006، ص 134)، لهذا فإن ما يجعل الروائيين ينصبون على كتابة التاريخ ليس لإعادة التاريخ وإن كان الروائي بخياله الخلاق قادر على إبراز وقائع وأحداث هذا التاريخ كون الرواية التاريخية هو تمثيل واقع اجتماعي معين في وقت معين. وعندما نعامة السياق التاريخي مرجعية نفسية، نفهم أن استِتلاهما الماضي يقربه أم يبعده نابع من حاجة الكاتب إلى قرآن خفيه وراءه، ليجعل من رؤيته تكتسي طابع الموضوعية المستمد من أحداث التاريخ، لذلك يمكن من إنتاج مادة تعبيرية حرة، وتؤدي العودة إلى التاريخ دور المرأة، حين يسقط المبتدع معطيات الماضي ليقرأ وقائع الحاضر، فيفهم أبعادها الإنسانية ويحدد المبتدع قراءاته الموضوعية للماضي في ضوء الحاضر الذي يخلع مشاهدهم في ضوء الماضي. ولما كانت الرواية تصور كلية الأشياء، فإن عليها أن تنغلب في التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية (الشامي 2006، ص 134).

(EL CHAMALI, 2006, P 134) ما يعني أنه من أجل نقل خصوصية اللحظة الحضارية والاجتماعية والنفسية للزمن التاريخي المستهدف في الرواية تصبح الشخصيات والأحداث التاريخية مجرد وسائل عمل وتقنيات مساعدة لتحقيق معايشة الشخصيات التاريخية المستهدفة بكل تفاصيلها، لأن الكاتب لا يستهدف إعادة التاريخ بقدر ما يرمي إلى معايشة التاريخ. فيرى لوكاش أن الرواية التاريخية هي ‏ "رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق"، وهي أيضاً رواية تقرب الماضي لنا وسمح لنا بأن نعيش وجوهه الفعلي (لوكاش، 1978، P 98).

لقد قدمت روايات أمين معلوف في علاقتها التفاعلية مع التاريخ قراءة نقديّة متميزة بحيث أن أغلب روايات هذا الروائي تجاوزت الكتابات المألوفة سلطت الضوء
على الماضي التاريخي المهمش. نجد ذلك يقترب من الواقع التاريخي ويبدد في الوقت نفسه عن التراثية حفاظاً عليه في جماليات كتاباته الروائية. هذه الخاصية هي ما يميز الروائي في كتابته، إذ إن أغلب روائاته ترتبط وتتداخل مع التاريخ. هذا التداخل يكون من خلال إدراج أي نص في سياق مجموعي تاريخي. فعناصر ما قبل النص الأدبي الاجتماعي والآيدولوجيا تحدد ثراث المؤلف. فالنصوص الروائية تتأسس على موضوعات تدخل المواقف الاجتماعية والإيدولوجيا التي تحدد ثقافة وانتماءات المؤلف.

إن حضور التاريخ في صميم النص الروائي واعتباره مرجعية جمالية تمنح النصوص الإبداعية تسييراً بنيوياً جديداً، ينبع من تدفق المادة التاريخية في حد ذاتها والقدرة على الإحساس بها، وتثمين هذا الإحساس الذي يعد مزينةً من المزایا الإنسانية.

تنقسم شخصيات هذه الازمة إلى زمنين مختلفين أولاً: القرن الحادي عشر في بلاد فارس والثاني القرن التاسع عشر. وللكل حقبة أربع شخصيات مهمة تختلف من حيث الأدوار والمكان والزمان والذين. ولكن ما ينبغي الإشارة إليه أن دراستنا هذه ستقترح فقط على شخصيات القرن الحادي عشر.
أ- عمر الخيام/صورة للفناء المثقبة:

تمثل هذه الشخصية الفناء المثقوبة في هذه الحقبة وهي شخصية محورية في الرواية باختلاف أزمنتها. بدأ من ولادتها في "نيسابور" إلتي أنها إلى "سمرقندة" "الشفاه"... واجهت هذه الشخصيات اتهاماتها بالزنودة لكتابتها "الرعباته" ودربت لها عدة مكتاتب وخيل خاصة خنال عيشها في القصور بين السلاطين.

إن الاسم الحقيقي الكامل للخيام هو "غياث الدين أبو الفتح إبراهيم الخيام". ولد عام 1840 في نيسابور وتوتامي عام (1351) عن عمر ينهاز (68) سنة. ذي نوب وعائلة مسلمة مثقوبة.

سمي الخيام نسبةً للسادة وهو الذي كان صانعًا وصاحبًا للخيام. عاش طفولته في مسقط رأسه نيسابور، وهي الآن إحدى مدنه إيران، فقد كان عالماً، فيلسوفاً، شاعراً... قدم الكثير للعلوم التي عمل فيها وتميز شعره بأبعاد فلسفيّة أثارة جدلاً واسعاً بين من آرخ له أو قرأ عنه لكنها بقيت علامة فارقة للكثير. استشهد "الخيام" بما سماه "الرعباته"، فقد ذاع صيته وعرف من خلالها في كل زاوية وقبعة من الأرض.

عاش "الخيام" في القسم الأول من الرواية سبع سنوات من السعادة والحب والسكونية، حيث كان "يمارس شعاعه الدينية بكل أريحية مع حببته التي أصبحت فيما بعد زوجته. كان يعيش في بلاط السلاطين السلاجقة آنذاك، وكثيراً ما كان يدعوا باستفسارات في يومياته. كانت تخدم الدولة من الفتيش والسلم والسلام. وضع "الخيام" تقويمًا سنويًا أكثر دقة من ذي قبل. تحقّقت حياته فيما بعد إلى مجموعة من الخلافات والصراعات كما يؤكد ذلك أمن مالوف: "لقد مرّت سبع سنوات، سبع سنوات سعيدة للخيام كما لإمبراطورية، وكانت سنوات السلام الأخيرة" (مالوف، 1997، ص. 113).

فضل الخيام العيش بعيداً عن الخلافات والصراع الذي كان قد نشب بين صديقه "نظام الملك" و"حسن الصباح" فدأى بنفسه فاختار النزول لنفسه وحالتها. لأن سبب سفره إلى سمرقندة كان لإجازة ما كان يحلم به. تعرف هناك على القاضي "أبي الطاهر" ليغبني في عدة مناصب مهمة في الدولة، فحقق "الخيام" نجاحات كثيرة وممارس أعمالًا شتى ذكرها التاريخ. رغم ما مر به من صعوبات كاتبه بالزنودة والإلحاح. أصبحت حياته أكثر هدوءًا بعد وفاة "نظام الملك" و"ملكشاته"، لكنه سرعان ما يعود السراج بعد ظهور صديقه "حسن الصباح" من جديد بعدما في من البلد. فيصبح الوضع في "سمرقندة" أكثر خرابًا ودمارًا وصراعًا بين مختلف الشخصيات بظهوره هذا ليتهم "الخيام" بذلك لأنه كان سدا له حيث نظم فرقة تعم الخراب وتنظم الجراح وتقتل وتهمر المعمورة ومساءها، "فرقة المشاهاة".

178
اتهم الخيام بمساعدة صديقه لتنظيم هذه الفرقة. وهذا الحوار يوضح ذلك:

"الوزير يتحدث مع القاضي أبي طاهر....

أعرف من المسؤول الحقيقي عن مصائب سمرقند ومصائبنا جميعًا؟ إنه هذا الرجل

الذي رافقك إلى هنا!

- عمر الخيام؟ - ومن غيره؟

إنَّ الخواجه عمر هو الذي شفع لحسن الصباح في اليوم الذي كان في مقدوري أن
احصل في على موته، لقد نعنا من قتله، فهل في وسعه الآن منع منه من قتله؟ "معلوم،

(MAALOUF, 1997, P 128) 

يبدع هذا على أن الخيام قد أثرى فكرة طائفة صديقه "حسن الصباح" عندما عارض فكرة
إعداده لما قرر الملك ذلك لمما عين في إحدى مناصب الدولة فذهب واستولى على أمورها.
وتظهر معارضة "الخيام" في هذا المقطع:

"عمر الخيام يتحدث مع الملك:

ظلعف مولانا، قد يكون "حسن الصباح" أرتكب أخطاء، وقد يكون أذنب من جراء تقليبه
والدفاع عنه ينبغي أن يطرد من أجل هذه الجحنة غير أنه لم يرتكب أي ذنب خطير بحقه.

- لنستلم عيناه إذن! هاتوا الغالية وحملوا الحديد.
- لا تتوزر يا مولاي مثل هذا العقاب بشاب لا يمكن أن يعمل إقائه إلا بالقراءة والكتابة.
حين ذلك قرر "ملكشاه" بالعفو عن قراءة وحكم على "حسن" بالطرد، والتنفي إلى بلاد

(MAALOUF, 1997, P 109)

 بعيدة مدى الحياة "معلوم، 1997, P 109) 

بعد سبع سنوات من الغياب يعود "الصباح" حاملاً معه عناية قويًا وغضاً كبيرًا نوى من خلاله
أن ينتمي من كل شخص آذا حيث النسيق بالخيام لأول مرة حيث جرت بينهما هذه المحادثة:

"الخيام يتكلم:

- ماذا جئت تفعل في أصفهان، جميع رجال نظام الملك يبحثون عنك؟
- جئت أدعوك إلى اعتناق عقيدتي.
أراد عمر التأكد من صحة ما يقوله فضحك عندئذ الصباح وقال إنه يمزح، فقال الخيام:
- هل عدت لتلتزم؟
فرداً عليه الصباح وكان كرامته أهيمت:

- لست أسعد للانتقام لشخصي الحقيق بل أرجو تدمير الجبروت التركي "معلوم، 1997, P 118-119"
لم يعد"حسن الصباح" كما كان من قبل مع "الخيام" خاصة مع ما قام به من جرائم قتل. وبعد وفاة الوزير من طرف الطائفة ووفاة زوجته من طرف أعوان الوزير. أحس "الخيام" أنه في خطر. فقرر السفر والاستقرار في تيسبار، أين قضى أوقاته الأخيرة.

عندما نتحدث عن شعبية الخيام في الغرب لا بد أن نتحدث عن رباعاته الشهيرة. رباعيات تحتفي بالنبذة وحرب الحياة والسخرية من عنف رجال السلطة مع النساء، وهذا ما جلب له مثابَة معهم في تلك الحقيقة. حيث عكست هذه الرباعيات حياته الميتافيزيقية ورؤيته إلى الكون ونهاية العالم، بحيث كانت عقيدته غامضة نوعا ما. أثارت هذه الرباعاته جدلاً وغموضًا بين الدارسين فهناك من يرى أنه ملحد ينطبقه بفرض الاعتراف بوجود الله. وهناك من ينفي ذلك، على سنة ذكر الأموات بالخير. فما الفائدة من إخافة حقيقة التاريخ؟ فللخيام رباعيات عديدة تكل على أنه ملحد. كان يخفى إخاده هذا بالتوحيد والخلو بعيدا عن غيره. ولم يكن وحده من يملك هذه النظرة آنذاك. كان عصره حافلا بالإضطرابات العقائدية وتمردها والتلاغها، حيث عرف انتشار فلسفة يونانيين وذوق فرق الباطنية وفساد كثير من رجال الدين. في بعض رباعيات الخيام تمت بصلة إلى المعن في الدنيا وإظهار الحيرة من بعض شؤون الحياة، لكن بعضها الآخر لا تخفى على من يقرأها أنها إجاد وجدود.

"حار قوم بين شيك ويقين يا صديق. ** وأطلال الفكر في المذهب والذين فريق. 

(عُلُم ١٩٩٧، ص ٢١، (١٩٩٧، P. ٦٢) (MAALOUF, 1997).

هناك رباعيات أخرى على غرارها توضح بعضها من أفكاره إنجه الله والذين بطريقة رياضية ما يسمى بالإتحاد الرياضي، فلا يخفى علينا أن "الخيام" كان عالما رياضيا فاعتمد على إعطاء فرضية ثم يأتي بالبرهان على سبيل النهج الرياضي، فيعطي معادلة رياضية كقوله:

"أنت يا رجاء كريم، أنت ذو لطف ومن.
فلماذا تطرف العصبي على جنة عدن؟
ليس جوهرك أن تطغني عن حسناتي.”

إذا جوهرك أن تؤني عن سيأتي. (معلوف، ١٩٩٧، ص ٤٦، (١٩٩٧، P. ٦٤) (MAALOUF, 1997).

جسد الخيام في هذه الرباعية معادلة رياضية وبين الجانب الموجب من السالب لنظريته حول الله تعالى، ثم أعطى النتيجة في البيتين الأخيرين. لقد تجلى في القسم الأول من الرواية شراء وعباس: "أنه شخص جريء في مخاطبة ربه، يقول:

"اللهي قل لي من خلا من خطينين *** وكيف ترى عاش البريء من الذئب **

١٨٠
إذا كنت تُجربى الذِّنّيب مبني بُمثْبِTREE: ***فما الفَّرق ما بيني وبينك يا ربي (MAALOUIF, 1997,P 11)؟ (معلوف، 1997، ص 11)

قدم لنا الكاتب هذه الشَخصية بطريقة مختلفة تماماً عن باقي الشخصيات الأخرى. فالخيَّام يجد دائماً صعوبة في التأقلم مع المتغيرات، فيبدو نفسه مع كتبه وفلسفته وتأمَّلاته بعيداً عن هذه الصراعات. هذه الشخصية بالنسبة للكابب أُموِّذج للشخص المستقل الحر المتحتّث باسم مختلف الحضارات والمناطق التي مرّ بها عبر مختلف الحقب الزمنية المختلفة. وضح لنا هذا الأموِّذج التيار الفكري للمؤلف الذي يدعو إلى التعددية الثقافية والتسامح الديني.

تمثل شخصية الخيام الفئة الثالثة التي تتوسط القوقس الأولى والثانية فليس لديه لا سياسة "نظام الملك" ولا التعبُّتُ الديني الذي لدى "حسن الصباح"، فهي شخصية حيادية بين الصراعات الداخلية التي ترسّ بها الإمبراطورية السلجوقية آنذاك. يقول: "أنا عالم وجميع يكرّموني ويجلونوني فلماذا أدع مصري يقَرر بين الكلاب والثُّناء..." (MAALOUIF, 1997,P 168، ص 168-169) تشير كلمة "الكلاب" و"الثُّناء" إلى شخصيتين آثرت على حياته: "نظام الملك"، "حسن الصباح". فرغم عقائدها التي أقامها معهما لكنه قرَّر الرحيل بعيداً عنهما وعن الصراعات التي حلَّت بينهما فكل منهما اتخذ مختلف عن الآخر ف"نظام الملك" المدافع عن السنة و"حسن الصباح" ذو المذهب الديني الإسلامي فيقرر عدم البقاء معهما والدخول في نزاعاتها وتجاوز لحياته والمعيشة بفصلته الخاصة اتجاه الحياة.

على الرغم من حديثنا عن هذا الشخص بأنه ماجن وثنيق إلا أنه لا نغلق عن ذكر الجانب الموجب في حياته، فهو يؤمن بوجود الله وحده لا شريك له. تستدعي على ذلك بهذا الحوار الذي وقع بين "الخيام" والقاضي "أبي طاهر" عندما لهموه أهل سمرقند بالزندقة.

أبي طاهر يسأله:

"أن يكون الزندقي الذي يصفه بعضهم؟
- إني أحذر تفاني الأتيءاء. لكني لم أقل يوماً إنما الواحد الصمد اثمن.
- هل خطر ذلك على بالك يوماً؟
- أبداً، والله شهد عليّ... لنست من أولئك الذين لا يعد اليوم أن يكون خوفاً من يوم الحساب... طريقي في الصلاة؟ أنام وردة، أعد النجوم أتذل بجمال الخلية، بكمال نظامها وترتيبها بالإنسان... بعلل المتعرش إلى المعرفة..." (معلوف، 1997، ص 240) (MAALOUIF, 1997,P 240)
يكمن إلحاح "عمر الخيام" في فلسفته وتأملياته المتعددة للحياة والكون ورؤيته الميتافيزيقية لأن له فكرًا وفيلسوفًا صاحب طريقة ومذهب م落到实. وربما نستطيع القول إن نظرية الأدبية من الرواية والقصة قد أعطت هذا الجانب من شخصية الخيام وذلك في فهم أفكاره وعقليته الفلسفة والدينية، فهو كاتب نجده قد برغ في دمج هذه العقلية والفلسفة الخاصة به وتوضيح أرائه وأفكاره بلاغة وفصاحة تعمق "الخيام" في دراساته حتى وصل إلى دراسة السردي، ووصل إلى وجود قدره فاعل قاهر من البشر وهي القدرة الكلية للكون وهو "الله".

"إن احتساء الخمرة والفرح من عاداتي *** وديني ترك الكفر والدين! قلت لعروسة الدهر ما مهربة؟ *** قالت الفرح هو مهربة!" (الخياطي، ص 22)

(El Khayyam, ND, P22)

تشير هذه الأساطير إلى مذهب الخيام ورؤيته للحياة. فمثالي الموت حليف كل إنسان لمذا لا يضيعه حياً فرحًا بعيدًا فعلاً، يجب ويجد ذاته في ملذاته. قبل أنه قد تاب قبل أن توقفه عقله وطلب العفو من ربي قائلاً له: "أنت تومنا يا رب إني سعت إدراسك جيد استطاعتي فسامحتي إن كنت معرفتي بك طريقي الوحيد إلتك!" (معلوف، 1997، ص 185) (185) وضع الخيام نفسه أمام ربي يطلب منه العفو على أنه قد عدى إلى إدراسه ومعرفته عن طريق أفكاره وتأملياته وفلسفته وعبقريته المشبوهة بالإلحاد. فقد كان هذا سبيله لإدراك الله.

كان آخر ما كتبه الخيام هو هذه الرمادية.

"يا عالم الأسوار علم البقين. *** يا كاشف الضمر عن الباسين.
يا قابل الأعذار عذّبا *** إلى ظلك فأقبل توبة اللادينين"

(Rami, 2000, ND, P75)

(182)
شخصية ترسم لنفسها حكاية وتبني لذتها موقعاً يبدأ بصورة طبيعية وينتهي إلى بؤرة التحول والتآمر.

فشخصية "الخيم" ليست إلا مرجعية تاريخية قابعة في الوعي الجماعي، فما يهم ليس معرفة طبائع هذه الشخصية ولكن ضرورة تدبر الاستعدادات المعترف بها والثقافية التي تحرك هذه الشخصية، لأن الكاتب لم يبدع "الخيم" خارج الثقافة الجماعية بل أبدع من رحم التاريخ والواقع الفارسي، ومن الأطر الجماعية التي رأى فيها الكاتب إشكالاً يعيق قراءة التاريخ. ولذا فإن رواية سمرقند تتجاوز كونها رواية ذات منحى إيديولوجي للتصبح متنا سردياً باحثاً عن موقع تاريخي وسط إشكالات ومفارقات، ارتبطت أساساً برهانات واقعية وإشكالات فكرية.

تأويلية.

ب- نظام الملك: بصورة لهيبة الدولة:

نظام الملك يعني نظام المملكة و إسمه الحقيقي هو "أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي". ولد في الرابع من أبريل 1018 في تونك "بالقرب من طوس" (إيران) وتوفي مقتولاً عام 1042 من طرف "طالفة الحشاشين". ينحدر من عائلة مهمة من ملوك الأراضي الإيرانيين الذين خدموا فترة طويلة إمبراطورية "غرانفيد". خدم أيضاً جنرال السلاطين الحقيقيين مثل "ألفونسو الأول" وهو أكبر السلاطين الذين سيروا في إمبراطورية السلجوقية بنظام سياسي، اجتماعي حيث سير الدولةمنظمة مدنية السلجوقية بحكمة كبيرة من شأنها أن تكون بمثابة نموذج للشرق الإسلامي بأكمله. وأجمل ما رأى به:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة. *نيّة صاغها الرحمن من شرف.

عرفت اسم فнуف talked of من الصدف (رضا مهيوبي، د.13).

RIDA MAHBOUBA, ND.P,13

يصف "نظام الملك" بالقوة وأقوى رجل في الإمبراطورية السلجوقية يقول الكاتب:

وعلى بعد خطوات ... انصب الزيزيف الكبير إمبراطورية القوى ذو الأعوار الخمسة والخمسين الذي ينادي ملكشاه "أبي" دلالاً على إجلاء الشديد له، ويدعوه الآخر "نظام الملك". لقب ليسبق أن استحقل رجل أكثر مما استحقه هو... (معلوم، 1997، ص.70). كان معلوماً يكتب يوما بعد يوم، فقد أثبت لنفسه قبل غيرته أنه شجع أكثر احتراماً في الإمبراطورية. وهكذا بفضل القوة والثقة التي تحصل عليها من ملك شاه. استطاع أن يمنع كل تدخل أجنبي خاص في مير الدولة، فهو كان يحكم دائماً بدولة يعمها السلام والطمأنينة فأراد تجسيد أحلامه على أرض الواقع. تقول الرواية موضحاً ذلك:

183
«أتلأل في جيشه المبتهث، وفي مسجد وقت الصلاة، وفي سوق من الأسواق حتى في ديوان، و
إنساءاً نعوطت هؤلاء الرجال بعمل حكيم بمعنفة من المعما.. تلك هي أحلامي
وموجسي»(MAALOUF,1997, p.90-91) (19-09-70)

عاش نظام الملك منذ عقوده يطلب العلم ظلّ مدة عشر سنوات في بطوس، يطلب المعرفة،
وبعدها قرر الذهاب إلى مدينة "نيسبار" لاستكمال معرفته فأقدم على الدراسات العليا.
ومشفوف ورغبته كبيرين. لينتقى هنالك بصديقه "عمر الخياي" و"حسن الصباح"، ثم انتقل إلى "بخارى" ليجد لنفسه عملًا يساعد به نفسه وأبناء الفقراء، وواصل عمله إلى مدينة "مرو" أي إن كناً للسلطان
"الباسلاين" وسرعان ما انتقل إلى "بلج" لتنتهي بذلك المرحلة الأولى من سيرته. فقد عين كاتباً
لحاكم "بلج" آنذاك، ثم انتقل بذلك إلى حياة القصور والوزارة، لينستدعي أمور الدولة. أمّ نظام
الملك بالتاريخ الإسماعيلي، مما ساعدنا في إنجاز مهمته في الوزارة والسياسة.(بِنَظَرِ بَرَّة مِحْبَوبَة,
Rida MAHBOUBA, ND P.279(279-279))

أشهر بشدته ضد الفرق الشيعيّة خاصة الإسماعيلية والباطنية الذين كانوا دائما يسعون إلى
السلطة. كان أحد الرجال العادلين في الدولة السلجوقية حتى إنه كان ينظر الإسلام غير
خير. استطاع أن يُشير الإسلام في ربوع المشرق واستولى على مناطق عدة التي أصبحت
مصدر نفوذ وقوة الدولة. تراجعت بعد ذلك القوة السلجوقية بعدما كانت في أوجها، بسبب
الصراع والخلاف من أجل السلطة. فظلت هذه القوة في خلاف وصراع داخلي، وخارجي.

أنشأ مدارس مختلفة في كل بقاع السلجوقية وسمىها باسم المدارس النظامية التي كانت كردة
فعل على ما كان الطرف الآخر يصدَّق القيام به لتمارده به. كان "نظام الملك" رجل دولة من
الطراز الأول: رجل سياسيًا محترفا يجري مع الزهر، ينتمى به ويسير مع النفع الشخصي،
حيثما ذهب... فإنما من خلال سيرته وعباراته نسجت صوت رجل ذي عقيدة رسمية، سار إلى
الموت وهو يعلم أن عدائه للإسماعيلية سيؤدي بحياة ولكن النصر مع ذلك سيكون لأثرائه
ومعتقداته بعد وفاته»(بِرَّة مِحْبَوبَة,286(286-286))

لطالما كان نظام الملك مدافعاً قويٍّاً على سنته وشريعته ونفيه. حيث حارب كل طائفة تدعو
إلى غير دينه. كان له الفضل في إعادة الهيبة للدولة والخلافة بعدما عرفته من اضطرابات
والашتباكات دينية.

ج— حسن الصباح/صورة للتدمير والانقاذ:

ينحدر حسن الصباح من عائلة تجارية بوروجوازية تابعة للإسماعيلية. كان هذا الرجل
ذكيًا عالمًا بالهندسة وعلم الفلك ولقب "شيخ الجبل" ومؤسس قلعة ألوفات. حضر هذا الرجل دار
التحكمة في "القاهرة" لتعليم وانتشار المعرفة الدينية عن الشيعة الإسماعيلية. كان ينتمي إلى عائلة شيعية إمامية. وفي صغره انتقل أبواه للعيش في مدينة "الزري" بالقرب من طهران، هناك، أين تلقى تعليمه الدينى. حيث كانت "طهران" آنذاك مركزاً لنشاط دعاء الإسماعيلية حتى تأثرت هذه الشخصية بتعاليم هذه الطائفة. حيث نجد قد كتب عن ما يشبه مذكرات عن حياته يقول فيها: «... منذ أيام طفولتي، وأنا في السابعة من عمري، أحببت مختلف فروع المعرفة. وكنت أوقٍ لأن أكون من علماء الدين، وظلت حتى سن السابعة عشر دارساً وباحثاً في المعرفة. لم يكن لدى أي شكلٍ أو نزعة في إيماني بالإسلام وفي اعتقادي وجود إله حق، باق، قدير، سميع، بصري... وكتبت أفترض أن الدين والشريعة هما ما يؤمن به الناس بوجه عام والشيعة بوجه خاص...» (لويس، 2006، ص 17، 60، P68)

عرف هسن الصباح بتعتبره للمعرفة، فقد كان لديه طموح بأن يصبح أحد علماء الدين، فطلَّ يبحث في مختلف المعارف والأديان دون أن يترك دين أجداده ولم يدخله الشك يومًا في ما يعرفه عن عقيدته. يقول المؤرخون أنه النبي لم يفعل له حدث عن الإسماعيلية وعن هذه الطائفة فقال له "حسن" أنهم كثرٌ وما يقولونه ضل الدين، لكن في الحقيقة منذ ذلك اليوم نما عنه فكر جعله يبحث ويقرأ كتاباً عن الإسماعيلية ووجد فيها أشياء أفضت لأفقره وأخرى عكس ذلك. وبعدها أصيب بمرض أدى به أن يجد أن عقيدة الإسماعيلية هي التي تشيغي عليه فكتب قائلاً: "خذت أفكار، لا شك أن هذه هي العقيدة الصحيحة ولنكت لم أعرف بها لخوفي الشديد، وها قد أقترب الآن أقلي المعجوم وسوف أموت دون أن أصل إلى الحقيقة" (لويس، 2006، ص 18، 68، P68)

مرح الصباح مرحاً شديداً وهذا ما جعله يصرّ بالعقيدة التي يريدها التي اقتنع بها كله تأخر بالبح لما خفوه، لكن عندما أحس بموته القريب أقرر بها وندم أنه لم يصل إلى الحقيقة التي كان ينبغي أن يصل إليها من وراء هذا المذهب الذي سار فيه.

بعد شفائه من مرضه قرر مواصلة بحثه وتعليمه بحيث أدى بعين القسم للإمام الفاطمي أمام مبشر إسماعيلي فتوسعت بذلك ثقافته الإسماعيلية، وعرف على كل ما يخص هذه الطائفة، فواصل بحثه حياته مروراً بعدة بلدان ومناطق. سعى فيها لنشر هذه الدعوة في كل مكان يذهب إليه. مركزاً على أقصى الشمال الفارسي أي أراضي "النيل"، فيها أسس مستقلين محبون للقتال يهابونهم كثيراً، ورأى هذا الأخير أن يستمر في "دمان" وبدأ يبعث أتباعه في كل مكان لنشر دعوته.
كان "حسن" قبل كل هذا صديقًا "عمر الخيام" والوزير نظام "الملك"، وبعد التعرف الذي دام بينهم أصبح ولدته قصيرة من الزمن يشغله منصب في الدولة السلجوقية. وأصبح معاونًا للوزير، كما بينبه هذا المقطع: "سرعان ما وجد حسن الصباح نفسه على هذا معاونًا لا غنى عنه للوزير الأعظم، فقد نجح في إقامة شبكة عنيفة النسيج من العملاء من التجار المزيّنين والدراجش المزيئين والحجاج المزيئين، بردان الإمبراطورية السلجوقية غير غافلين عن سماع مال يجري في أيّ قصر. وأيّ ركن من الإمبراطورية..." (معلوف، 1997، ص 98) (MAALOUF, 1997, P 98)

ويوضح لنا هذا المقطع المكانة التي سعى "حسن الصباح" إلى امتلاكها في الدولة السلجوقية. فقد كان جاوسًا على كل ما كان يجري في كل أروقة الملكة. وجد مكانة له يسعى من خلالها لبسط نفوذه والتحرك من الملك وبحث عن وزيره بسواء لمعرفته مدى حبه له ومكانته التي هو فيها، فسعى لإدخال الشك في ذن الملك ضد وزيره. توضيح الرواية هذا المعنى قائلة: "معروف حسن كيف يتبع لدى السلطان كل أمرة من إمرات الوحد على وزيره، وربما يقوم نظام الملك، بحكمته معرفته؟ إن حسن ليفهمه بهذه ونيله براعته... لقد أثبت حسن في مدة وجيزة مثل هذه الأهدية، بإخلاصه ما أهل التظاهر بالولاية,... فهو لا ينفك بحثه عن نفقات الوزير. نظام الملك يجب السلطة والأبهره ولا يجب "حسن سوي السلطة... فليس أصدق منه من الأفواج الكاذبة" (معلوف، 1997، ص 99-100) (100-99, P 1997)

وهذا يعني مدى غياب "حسن الصباح" على الوزير، "نظام الملك" والمكائد التي يديرها لإرادة من منصبه لลำح مخلل. لكن تقف الوزير بعد هذا وقرر أن يزيله من مكانة قبل أن يؤدي بالمملكة إلا مالاً جامد عقابه. فحكم السلطان عليه بالإعدام بعد موافقة من طرف الوزير، لكن تدخل "عمر الخيام" وانتقح حياته، مما أدى إلى إثارة "حسن الصباح" ضد الوزير، بعد نفيه إلى أراضٍ بعيدة وتحريره من دخول الأراضي التي تحت الحكم السلجوقي، وأجبره إلى أن يستقر إلى مصر عام 1071 لإكمال سيرته. استقر في إحدى المعتقلات الفاطمية الشماليّة التي كان يحكمها "الخليفة المستنصر"، هناك أين وجد العديد من الإسماعيليين الذين لديهم رغبة واحدة فقط "الانقام من السلالة".

بحث حسن الصباح عن طريقة جديدة يستطيع بها تدمير السلطة السلجوقية، فبعد غياب طويل عاد متكلماً سعياً إلى لقاء صديقه "عمر الخيام". فلمَّا التقى به أخذ يحدثه عن غيابه قائلاً: "قد همت طويلًا، عندما غادرت أصفهان. لحق بي بعض رجال نظام الملك طالبي قلبي، وتمكنت من تضليلهم... حتى انتهت إسماعيلًا أوصائي بالذهاب إلى مصر والانتحاق بمدرسة..."
الذاعة التي كان هو نفسه قد التحق بها ... ثقت هذه تعلينًا عن المذهب وعن مبادئه، ثقت في مصر كل ما كنت أحتاجه من تعليم، ... ثم تعلم المذهب وكيفية اعتناقها (MAALOUF، 1997، ص 22). وهو يقول موضحاً أنَّ الفرق شامس بين عقيدته وعقيدة أيوبه، فعقيدة أيوبه طالما علمته الانتقام وإدارة الإمام المحجب المنتظر وبين عقيدته التي تقول إنه ينبغي العمل منذ الآن والتحمير لعودته، وهو الذي سيمهد الطريق لاستقباله. أعرّف "الجناح" عمر الخيام يومناً أن النبي قد تحدث عنه وقال: «سوف يقوم رجل من بلاد فندع الدنا إلى الصرف وستقصم فيجتمع حوله رجال كأنهم سنة الرماح، لا تشتمل ريح العباف والهضوم عنهم بالكلام من الحروب ولا يمتلؤون، وعلى الله يتولون». (MAALOUF، 1997، ص 123) . 

قال عنه المؤرخ "جعجع" أنه: "طوال خمسة وثلاثين عامًا التي عاشها في "ألبوم" لم يجوز أحد على شرب الخمر عنده، ولم يذكر عنه أعدائه فقط بل كانت على أقرانه أيضًا. فقد أعد أحد أبنائه لشربه خمراً" (MAALOUF، 1997، ص 29). كان الصبائح مفكرة كما كان رجل عمل وحفظ كأول مؤرخ أن كان المحرك الأول للدعوة الجديدة - الإسماعيلية- واستمرت. بعد ذلك دعوه إلى عائد على يد مستخفه حتى اختفت. على يد المغول و"الظاهر بابور". عاش الصبائح حقية تراجعت فيها الحروب. مختلف الطوائف من سلالة، صليبيين، فاطميين... إلا أنها اجتمعت على قوتها وحكمها في تدبير أمور دولة.

د- تركان خاتون رمز للسلطة والسيطرة:

تُركان خاتون تعني ملكة الأتراك وهي إمبراطورية الإمبراطورية السلجوقية وأول زوجة للسلطان ملك شاه، من أسرة ملكية وهي إبنة الملك طغماح خان. أحد ملوك الدولة "البغدادية"، في منطقة ما وراء النهر. وهي أم السلطان محمود بن ملك شاه. وصلت الدولة السلجوقية في عهد زوجها إلى أقصى حدودها وأعظم نفوذها. امتدت من حدود بلاد "الصين" عبرًا وشرقاً وجنوبيًا إلى البحر الأبيض المتوسط. وضعّت بلاد إيران وما وراء النهر و"السند"، آسيا الصغيرة، العراق، بلاد الشام. دام حكمها عشرين عامًا منذ 625–485 هـ، الموافق لـ 1221–1103 م. تُركان، هذه سيدة عظيمة، جرّيدة، كانت تسيطر على الملك بصورة أنه لا يستطيع رفض أي شيء هو تطلبه، فالأوائل، تجري في روحه. فقد كانت هي الزوجة المفضلة للملك، ولا يرفض لها طلبًا ولا أمرًا، تقول الرواية: "تلقب قلب السلطان "بالصينية". ولدت في سمرقند من أسرة أصلها من فرغان. إنها أقدم نساء ملك شاه ولم يكن في عمره عندما عقد
عليها سوى تسعة أعوا، ... وبكنت في ترويذ ذلك الملك، ... الأثرة المدققة، المشتركة، 
المسوة الكلمة، ... وما من حظة يضجر فيها بين ذراعيها لا يزداد نفسه بالبقاء معها كل عشيٌّة، ... 
وهي تعلم أنه لا يستطيع أن يرفض لها أمرًا، وهي التي تملى عليها غزواته، وليس لها في 
الإمبراطورية كلها من منافس غير نظام الملك، وها هي ذي في طريقه هذا العام، 921م إلى 
إخمادها» (معلوت، 1997، ص 144 (MAALOUF,1997, P 

بني لذا هذا المقطع صنعة ما قلناه في أول حديثنا عن هذه الشخصية. فقد عرفت كيف 
تسطير على زمام المملكة السلجوقية عن طريق زوجها الملك الذي ينساع له وينفذ أوامرها. 
وأكدت لنا الفقرة على أن نظام الملك لم يكن يوافقه في اتخاذ أمور الدولة حتى أصبحت عدوته 
بحيث تقول المصادر التاريخية إن "تركان خاتون" تحدثت مع أعداء نظام الملك ضدّه. ليموت 
بعد أشهر قليلة من ذلك.

أدت المرأة دورًا كبيرًا في العهد السلجوقوي، فكان للبعض دور في الميدان السياسي 
والعسكري والاجتماعي أمثال زوجة الملك طغرل بك، فقد كانت صاحبة رأي وتدبير وعزم. 
تركان زوجة السلطان ملكشا، عندما توفي استولت على السلطة. يقول أميل ملعوت في هذا 
الشأن: "تجرأت امرأة في الإمبراطورية السلجوقية في الوقت الذي كانت فيه أقوى إمبراطورية 
في الدنيا على الإس kak Pزمزن السلطة فيها كانت وهي جالسًا خلف حجابها تتقل حيويًا من أحد 
أطراف آسيا إلى طرف آخر، وتسمي الملكي والوزراء والولاة والقضاء، وتمي الرسائل إلى 
ال الخليفة، وترسل المبعوثين إلى صاحب "الموت" وكانت تجيب الأمراء المتزمرين من سمعها 
تصدر الأوامر وتقول: الرجال عندنا هم الذين يقومون بالرحب، ولكن النساء هن اللائي يقتنى لهم 
(MLAALOUF,1997, P 

من يقانون) (معلوت، 1997، ص 144 (MAALOUF,1997, P 

استطاعت هذه المرأة تسير إمبراطورية عظيمة فكانت تتحالف مع كل من لديها مصالحة 
أمثال "حسن الصباح" حتى وإن كانت عقيدتهم مختلفة من أجل التخلص من "نظام الملك". لأن 
دهن مشتركة، وبعد وفاتها أصبحت تحكم كل زمام الأمور وقد تخلصت من كل رجل في الدولة 
يكن بشتا أو احتراز لنظام الملك، ومع وفاة السلطان أصبحت قوة الدولة على يديها، لكن رجال 
nظامية وقفا ضدها وأعلنوا مساندتهم لأكبر أبناء ملك شاه بينما هي تريد أصغرهم. وكان 
على السلطان أن تستخدم الحيلة، وكنتى إلى عدد من ولاية الإيالات رسائل تقول: "إني أميرة، 
وأعتي حماسة طفل قاصر بحاجة إلى والد يستخرج، وبحكم المملكة باسمه، فتعمل بأسرع ما 
يمكن على رأس عسكرك فتشقق أصوله ودتك الما فاتحة مقتصرًا وازعوزق فقتض على زمام 
الأمور" (معلوت، 1997، ص 157-158 (MAALOUF,1997, P 

188
كانت هذه إحدى حركات "تركان" لحماية نفسها والحفاظ على استمرارية الدولة السلجوقية. فقد
أعادت التواصل مع "حسن الصباح" وتحالفت معه وأصبحت الدعوة الإسماعيلية تتسع.
وضعفت عمليات اعتقال المذهب.
احتلت هذه المرأة مرتبة عالية في الدولة العلياً بحيث أن معظم المعاهد والمعاملات التجارية
كانت تتم بختومها إلى جانب ختم الملك. كانت تسعى إلى كسب مصالح سياسية كانت أو
اجتماعية، وبرزت في المجال العسكري، كما سعت إلى النيل من أعدائها على الرغم من
الهزائم التي لحقتها منهم إلا أنها تجرأت على خوض معارك مع أعدائها والدخول معهم في
جداول.
عرفت تركان خاتون بالاحترام والاعتناء، كما كانت صاحبة كلمة، تصنف بطبع الخشونة
والقوسية وتعكس ذلك على شخصيتها. كان لها مهامات إدارية كالمشاركة في تعيين وعزل
الوزراء ولو بصورة غير مباشرة وكان لها أسلوب في شتي مجالات الحياة آنذاك، اجتماعياً,
سياسياً، عسكرياً. كانت مستوية على الأمور في أيام السلطان ملك شاه وكان لها هيبة وأمر
مطابع. ويعود هذا النفوذ الكبير لها والمكانة العالية من نشأتها وتربيتها وأصولها الملكية، فهي
من سلالة ملوك الفرخازيين حكام ما وراء النهر وعاصمتهم سمرقند.
كانت أسرة تركان خاتون حاكمة ذات نفوذ قوي، فتعكست عليها لتكمل مسيرتها هذه حتى
وصلت إلى بسط نفوذها في أعظم الدول في التاريخ. وجدت مبتهلة على سريرها وإلى جانبها
سلاح الجريمة سنة 184هـ "أصفهان" من شهر رمضان.
هكذا ترسم شخصيات رواية سمرقند التاريخية في القرن الحادي عشر حالة تفاعل يجسد
طرفها الأول حلم "عمر الخيام" بمرصد وحيدقة وورد مع أعداء وكأس. أما طرفها الآخر فيتمثَّل
سعيً من أطراف متعددة إلى الملك وال.dequeueReusableCell وما يمتد من ذلك في عمق وكراهية وتقيل. هذا التنافر الذي ابتدأ زمن الخيام وما انتهى منه عهد الإمبراطورية السلجوقية من أحداث
تمثَّل بتدابير سلطوية قامته دفعت إلى إقامة يوتوبيا الرفض التي أسهمها آنذاك حسن الصباح في
مدينة "الموئ" المحصنة التي ينطلق منها الارهاب والقتل والدمار على أيدي الحشاشين
ورئيسهم. وكان الروائي ينتج حوارا بين الأرمن وبين الحضارات لينكشف للقارئ أن الزمن
يتكسر بتكسير الشخصيات بسلبيتها وإيجابياتها. وكان الرواية تثبت أن التاريخ الإسلامي هو تاريخ
واحد مستمر عبر الأرمنية، وأن مأساة الواقع المرير المليء بالظلم والاستبداد هو واقع قادم من
بعيد ومحدود فيها؛ ذلك أن الفساد والاستبداد ليست حكرا على زمن من الأزمة بل هي ظاهرة
راسخة في المجتمعات على مر العصور.
خاتمة:

- استثمرت رواية (سرقند) التاريخ لتوظفه عنصراً فاعلاً في إنتاج نف الرواية بتمكّن وحذر، وفي رسم بيئة الشرق من دون الاستعانة عليه أو الوقوع في فخ مملة الغرب أو مغالته، كذلك من دون تقديم مواقف إدانة ساذجة أو جاهزة لهذا الغرب وفق أفكار مؤلّفة مسبقة. وليس خافياً أن ذلك أمراً ليس بالسهل إلى جانب تحقيق قدرات إنتاج وصد واستدراج للقارئ على مدى صفحات الرواية الـ367، بوسائل بناء متكنّكة لأجزاء الرواية ورسم منطقي ومعقول للشخصيات والبيئات المتوعبة ومن ثمّ القدرة على إنتاج معرفة وتأسّيسها على ذلك توصلت دراستنا إلى النتائج الآتية:

- قدم الروائي نصاً مكدلاً بين الأحداث التاريخية وبين أحداث الرواية الرئيسيّة ألاًّ وهي البحث عن المخطط الضائع. وحولت الرواية الأحداث التاريخية الواقعية إلى عالم من الخيال الإبداعي، وهذا ما يسمى بالتناسق التاريخي الواقعي.

- تعبّر شخصيات الرواية التاريخية عن مستويات اجتماعية وفكرية متباينة، تحاول كلٍّ واحدة منها الإفصاح عنها من خلال محارباتها، التي كان فيها الراوي المسير أو اليوم أُضلاً لأنها لا ينتمي شخصياته الروائية، إلاّ بما يبرر مستويات تفكيرها الذي يسعى إلى تعريتها أمامنا في محاولة للتأثير على إدراك القارئ.

- خذّت شخصيات الحقيقة الأولى من الرواية (شخصيات القرن الحادي عشر) الأدب والشعر وسيلة للتعبير والعيش أمثال "عمر الخيام"، لكنها قوبلت بالرفض من المجتمعات المتّصبة ولاقت بالزندقة لاعتماد أدبها تتخلله أفكار فلسفة ميتابيزيقية غير معترف بها أثناً، وكانت الأخرى تعتمد على استعمال العنف لتحقيق أهدافها مثل "حسن الصباح"، وأخرى نجدها تميل إلى السياسة والواقع السياسيّة "كظام الملك وترك تراتب حاكم".

- لا يمكن إنكار البعض السياسي للرواية، فهي تروي بعد الأحداث المناصبة التي مررت في "سرقند" وأصبحها "انته" الخيام" الفرصة لإطلاق نداء من أجل التسامح والتفاهم بين الشعوب كما يحذر من النصوص هذه الرواية تشبه رؤية المؤلف للصراعات المختلفة التي غطّتها في جميع أنحاء العالم.

- جاءت رواية سرقند معبأة بالتنازلات بين الأحداث والتفاصيل التاريخية التي يخضعها للسياق الراوي وليس التجربة، فنستعر ذلك النفس الفلاحي الذي يميزه موضوعه، وذلك السياق للتوافق الذي يكسبه الحيويّة والتحرك دون انتقال، فالتقصيات أحداثها التاريخية تارة وتدور عادة أخري لتتحول أحداثها المسروبة من منظور تأويلي إلى فنتازيا تاريخية تسقط.
على واقع الأمة العربية، مما يجعل من التاريخ كمادة روانية يتجاوز في لحظة انفصال من تاريخه كل الخطابات التي أفرزته بها، أي أنه لا يهدف مجرد تذكيرنا بأحداث مضت ولا إلى جعلنا نلتقط بعض المشاهد من مسرح الأحداث زمنيا ومكانيا بل يهدف إلى غاية يتجاوز فيها الجمالي والسياسي، والخيالي والواقع، واللاهوتي، الرغبة في قراءة الواقع يعيون تضع القارئ في تلك اللحظة التاريخية المشجعة، والرغبة في قراءة مغامرة لهذا الواقع عينه، وهنا يلوح سرد الحدث كأنما هو خاص بزمن لا تاريخي، إنها كتابة تنتمي بالتاريخ لكي تعيد قراءته أو تلبس قناعه كي لا تكون.

إنها التأويلية مرة أخرى التي تجعل الخطاب شكل لا زمنيا من حيث هو زمني، وتنسج له وجها لا تاريخيا من حيث تاريخه لخطاب يقرأ التاريخ وحققته ليعيد صياغتها في بناء نصي روائي. وهنا يتجلى الحس التأويلي للكتابة كأنه مخطوطة بقلم مؤلف سرمدي يقف على عقبات الحقب التاريخية وقوة تأمل وتساؤل وتأويل.

مراجع البحث:

- الخيام، عمر. (1931) رياضيات عمر الخيام. تعريب أحمد الصافي. النجفي. دمشق: دار المعارف.
References


Najafi Damascus: Knowledge House.


*- Reda. M., Abdul Hadi, M. (DT), NIDHAM Hassan bin Ali Tusi (408/485 AH Cairo: Egyptian Lebanese House